# حامد بن شريفة شيخ أولاد مساهل وثورته على السلطة بتونس سنة 1795م.

# Hamed Ben Cherifa Sheikh Ouled M'sahel and his revolution against power in Tunis in 1795.

# Hamed Ben Cherifa Cheikh Ouled M'sahel et sa révolution contre le pouvoir à Tunis en 1795.

يعقوب خديجة[1] *

[1] مخبر تاريخ تراث ومجتمع، جامعة قسنطينة 2. عبد الحميد مهري. الجزائر

تاريخ الإرسال: 2018/02/03م تاريخ القبول: 2018/05/28 تاريخ النشر: 2018/12/19

**ملخص:**

يعتبر الشيخ حامد بن شريفة شيخ عرش أولاد مساهل من قبيلة ماجر في الوسط الغربي التونسي أحد أهم شيوخ القبائل في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، وتعود هذه الأهمية إلى المكانة الاجتماعية التي حظي بها الشيخ، إلى المهام والوظائف الاجتماعية والمخزنية التي كلف بها من طرف البايلك كجباية الضرائب والحفاظ على الأمن وللعرش من جهة، وتمثيل أفراد العرش والدفاع عن مصالحهم أمام السلطة من جهة أخرى.

غير أن سياسة شيخ العرش حامد بن شريفة في أواخر القرن الثامن عشر قد تميزت بمعارضة مصالح البايلك والإغارة على قبيلة الهمامة وشنّ انتفاضة ضد السلطة المركزية بتونس، وقطع الطرق والهجوم على حلفاء السلطة، بسبب فرض الباي حمودة باشا الحسيني (1782-1814م) ضرائب وغرامات مالية وحيوانية على قبائل ماجر والفراشيش، وقامت السلطة بوضع حدّ للشيخ وسجنه وشن غارة ضد عرشه.

**الكلمات المفتاحية** : حامد بن شريفة؛ شيخ أولاد مساهل؛ الثورة؛ السلطة؛ تونس؛ سنة 1795م

**Abstract :**

Sheikh Hamed Ben Cherifa Sheikh Ouled Msahel, of the Majer tribe in the western center of Tunisia, one of the most important Sheikhs of the second half of the 18th century, and this importance is due to the social status of the Ben Cherifa family and to his monopoly of the institution of Mechiakha for a long time on the one hand, and the functions provided by the family to Beylik and tribute on the other hand.

However, the policy of Sheikh Hamed Ben Cherifa in the late eighteenth century, was marked by opposition to the interests of Beylik, raids against the central authority of Tunis and attacks against the allies of power because of taxes and animal and fines imposed by the Bey Hammouda Pasha (1782-1814) on the tributes of Majer and Frachiche. The authority put an end to the Sheikh and imprisoned him by launching a conquest against his tribute.

**Keywords :** Hamed Ben Cherifa; Sheikh of Ouled M'sahel; Revolution; Power; Tunisia; Year 1795

**Résumé :**

Le Cheikh Hamed Ben Cherifa, Cheikh Ouled Msahel, de la tribu de Majer dans le centre occidental de la Tunisie, est L'un des Cheikhs les plus importants dans la seconde moitié du XVIII[e] siècle, et cette importance est due au statut social de la famille Ben Cherifa et à son monopole de l'institution du Mechiakha pendant longtemps d'une part, et les fonctions fournies par la famille au Beylik et aux tribus d'autre part.

Cependant, la politique du Cheikh Hamed Ben Cherifa à la fin du XVIII[e] siècle, a été marquée par l'opposition aux intérêts du Beylik, les raids contre l'autorité centrale de Tunis et les attaques contre les alliés du pouvoir à cause des taxes fiscales et animales et des amendes imposées par le Bey Hammouda Pacha (1782-1814) sur les tribus de Majer et Frachiche. L'autorité a mis un terme au Cheikh et l'a emprisonné en lançant une conquête contre sa tribu.

**Mots clés :** Hamed Ben Cherifa; Cheikh Ouled M'sahel; révolution; Pouvoir; Tunisie; Année 1795

*المؤلف المراسل

## مقدمة:

يعتبر الشيخ حامد بن شريفة أحد الأعيان المحليين في قبائل ماجر والفراشيش، كما كان في نفس الوقت قائدا ورمزا لإحدى الثورات الهامة داخل مجال ماجر ضد حكم الباي الحسيني حمودة باشا (1782-1814م) سنة 1795م.

وبالعودة إلى المصادر الجبائية التي تعود إلى النصف الثاني من القرن 18م والخاصة بعرش أولاد مهنى من ماجر، ... فإن صورة حامد بن شريفة مازالت غامضة.

فمن هو الشيخ حامد بن شريفة؟ وما هي أهم مهامه المخزنية؟ وما هي الأسباب التي أدت إلى ثورته على السلطة؟ وكيف كانت نهاية الشيخ؟ وما هي صورته في الكتابات التاريخية؟

للإجابة على هذه الأسئلة سنعتمد في بحثنا على المنهج التاريخي لإبراز مسار هذا الشيخ وحياته، ونعتمد بشكل كبير على ما قدّمه الأستاذ "الأزهر الماجري" في دراسته حول: "قبائل ماجر والفراشيش خلال القرنين الثمن عشر والتاسع عشر".

وسنكشف عن أهم المحطات التي مرّ بها في حياته مستغلا المكانة التي حظي بها أجداده لدى السلطة، وسنتناول في هذا المقال الأصول العائلية للشيخ حامد، والذي ينحدر من عائلة دينية توارثت المناصب الدينية والوظيفية في عرش أولاد مساهل بقبيلة ماجر، كما سنبين أهم الخدمات المخزنية والاجتماعية التي قدّمها للسلطة ولأفراد عرشه، غير أن عرش أولاد مساهل قد ارتكب العديد من التجاوزات والأوامر البايلكية، واعتدائه على قبيلة الهمامة المخزنية المجاورة، قد أدى بالسلطة إلى فرض العديد من الخطايا المالية والحيوانية على مشايخ قبيلتي ماجر والفراشيش، وخاصة عرش أولاد مساهل التابع للشيخ حامد.

غير أن تلك الضرائب والخطايا المفروضة على عرش أولاد مساهل، قد كشفت لنا أسباب انتفاضة الشيخ ضد السلطة وأعوانها في المنطقة، وهو ما أدى بالبايلك إلى سجن الشيخ حامد وغزو عرشه، وهو ما يبين العلاقة الجدلية بين مشايخ الأعراش والسلطة المركزية في إيالة تونس، والقائمة على الولاء المتبادل بين المحلي والمركزي، كما أن إلحاق الضرر بالقبيلة والعرش وأعيانه في دواخل البلاد، يؤدي بالثورة على السلطة حتما، وهي خاصية كانت ثابتة نوعا ما قبل بداية القرن التاسع عشر، وهو القرن الدي عرفت فيه مؤسسة الشيخ تحولات جذرية في هيكلها.

## 1- أصوله العائلية وامتيازاتها.

ينتمي عرش أولاد مساهل إلى قبيلة ماجر التي تقع ضمن مجال السباسب، وهي مجاورة لقبيلة الفراشيش التي تربط بينهما علاقات تاريخية مشتركة، والسباسب هو مصطلح جغرافي يتعلق بتونس الوسطى ما بين امتداد الظهرية في الشمال ومحور الصخيرة- قفصة في الجنوب، وقد خضع هذا البر إلى تقسيم جغرافي صرف يتضمن السباسب العليا والسباسب السفلى (مبروك الباهي، 2005: 15).

وتمتد منطقة السباسب أو منطقة "العروش الكبار" في غربي الوسط التونسي على فضاء جغرافي قدر ب 16 000 كلم مربع، وتقع بين سلسلة الظهرية التونسية التي تكون حدودها الجغرافية مع التل شمالا وسلسلة جبال قفصة جنوبا، يفصلها شرقا جدار جبلي من السباسب السفلى (Habib Attia,1977: 7)، وفي الغرب تتعمق السباسب العليا لتلتقي بالهضاب العليا الجزائرية، ويلتف إلى قلعة سنان ويمتد هذا الإقليم إلى تالة وجبل الشعانبي (952هـ/1545م) (Charles Monchicourt,1918: 50).

وبالنسبة لأصول الشيخ حامد، فهو ينحدر من عائلة الفرجاني المرابطية التي استقرت بأرض أولاد مهنى من قبيلة ماجر، واحتكرت داخلها ادوار القيادة والمشيخة الدينية والسياسية طيلة القرنين 18 و19م، ويبدو أن الشيخ المؤسس لهذه العائلة هو سيدي علي الفرجاني الذي أعطى اسمه للسلالة وللفريق (الأزهر الماجري، 2005: 378)، و ادّعت هذه العائلة الأصل الأجنبي الشريف، وأنها لا تنتمي لقبيلة ماجر أو على الأقل للمجموعات الأصلية أو التي تدعي ذلك داخلها، لكنها سترتقي لقيادة إحدى عروشها الكبرى وذلك في الحقلين الديني والإداري.

ويرجع مؤرخ من واد سوف: "إبراهيم بن محمد الساسي العوامر " أصل قبيلة "الفراجنة أو الفراجين أو الفرجان" إلى قبيلة دريد العربية (إبراهيم العوامر، 2007: 312). وكان لقبيلة دريد حضور قوي بمجال ماجر والفراشيش منذ القرن 15م، كما أن إحدى الفرق الكبرى لأولاد مساهل وهم أولاد يعقوب المنتشرين حول القصرين يعودون إلى أصول عربية، وهو ما يدعم هذا الاتجاه (الأزهر الماجري، 2005: 378- 379)، وقد احتكرت هذه العائلة منذ أواسط القرن 18م والى حدود ستينيات القرن ق19م مؤسسة المشيخة داخل فريق أولاد مساهل (الأزهر الماجري، 2005: 378- 379).

كما أن أولاد مساهل فرضوا على الهمامة إثر الهزيمة التي ألحقوها بهم بقيادة شيخهم حامد، ذكر العبارة:" سيدي حامد صلى الله عليه وسلم"، كما أن الشيخ حامد ينحدر من عائلة حائزة للوجاهة والشرف، ومن الأكيد أنها كانت تحتكر العلوم الدينية والثقافة العالمة داخل ماجر، ووفرت لهم الإطار الإداري والقضائي، وأهّلتهم للارتقاء إلى منصب الشيخ (الأزهر الماجري، 2005: 382).

ونالت الأسرة خلال القرن 18م عدة امتيازات في عهد حسين بن علي (1705-1735م) حيث جاء في الدفتر الجبائي رقم 3 الصادر بتاريخ (1123هـ/ 1711-1712م)، في باب الإعفاءات من الضرائب أو (الطايح) مايلي: "طايح على إخوة سيدي علي الفرجاني حق زوز زوامل (حيوانات) عادة 200 دينار" (الأرشيف الوطني التونسي، الدفتر3: 123).

وهذا الإعفاء الذي كان منذ بدايات حكم حسين بن علي يفيد بكون وجود أفراد العائلة بمنطقة ماجر سابق لهذا التاريخ، كما أنّ مصطلح "إخوة " يعني أنّ الشيخ سيدي علي الفرجاني كان له دور مخزني ومسؤولية إدارية محلية (الأزهر الماجري، 2005: 378- 379)، وقد قدمت العائلة خدمات مخزنية للباي حسين بن علي وكانت موالية له، حتى أثناء الحرب الباشية- الحسينية التي عرفتها البلاد التونسية ابتداء من سنة 1728م، ويشير مؤلف المشرع الملكي إلى إغارة علي باشا على ممتلكات ابن شريفة بمنطقة رباو بجهة قمودة (محمد الصغير بن يوسف، 1998: 235).

واستخلص الماجري أنّ وقوف العائلة ومن ورائها عرش أولاد مهنى إلى جانب حسين بن علي والى جانب "الشرعية" ورفضها لعلي باشا، هو موقف منسجم مع مصالح هذه العائلة التي تحظى بامتيازات هامة من قبل السلطة وبنفوذ محلي هام، ويفند هذا الموقف الرؤية التي تصنف ماجر ضمن المجموعات الباشية (الأزهر الماجري، 2005: 378- 379).

كما منح بايات تونس احسانات وامتيازات هامة لقبائل ماجر والفراشيش، ونال هذه الإحسانات كل أطياف وشرائح الأعيان، سواء كانوا مشايخ أو رجال كبار أو إخوة للمشايخ، أو الميعاد الذي ذكر في الدفاتر الجبائية أحيانا كأنه ميعاد قبيلة واحدة، وليس ميعاد كل قبيلة على حدا. وفي إطار عملية جردنا لقيمة هذه الإحسانات فقد أضفنا إليها الأموال

المقدمة للقياد بصفتهم أعوان للسلطة المخزنية بالإضافة إلى مبعوثيهم، وكان الأعيان والمشايخ يتلقون الإحسانات من السلطة المركزية مباشرة، وقد يتلقونها من القايد أو الباش حانبة.

وبلغت قيمتها فيما بين 1171- 1190هـ/ 1757- 1776م مبلغ 2620 ريال، وقد يكون نوع الإحسان طعاما يتمثل في عشاء كما ذكره دفتر الإحسانات بالأرشيف التونسي، في حين غابت الهدايا التي تتمثل في الألبسة والصابون وغيرها، في حين قدمت إحسانات لماجر في الدفتر رقم 2145 سنة 1195هـ/ 1781م قدرت ب 2 ريال لقايد الفراشيش فقط، كما نال الشيخ شابو وإخوته أكبر قدر من الإحسانات الموجهة للمشايخ ، وبلغت ما تحصل عليه هذا الشيخ 147 ريال (الأرشيف الوطني التونسي، الدفتر2145: 161- 163).

ولم تذكر هذه الدفاتر أي مبلغ مالي نالته عائلة حامد بن شريفة، غير أننا نرجح استفادتها من هذه الإحسانات طالما أن الدفاتر لا تذكر أسماء المشايخ في كثير من الأحيان وتكتفي بذكر عبارة "مشايخ العرش " أو "الرجالة الكبار ".

وعن ألقاب الشيخ في الوثائق الرسمية، فقد جاء في الدفاتر الجبائية لسنة 1794م ما يلي :"ابننا حامد "، وهي إحدى ألقاب التوقير التي يخص بها البايلك بعض الأعيان المحليين المميزين والمخلصين في خدمتها (الأزهر الماجري، 2005: 383)، وقد حمل الشيخ حامد بن شريفة لقب تشريفي في الدفاتر الجبائية منها: "ولدنا الشيخ حامد بن شريفة في شوال سنة 1203هـ (1788م)" (الأرشيف الوطني التونسي، الدفتر274: 100) ، وهي نفس العبارات التي يخاطب بها البايلك القياد في تلك الفترة، مما يبين القيمة الاجتماعية التي حظي بها الشيخ حامد.

**2- مهامه المخزنية.**

وعن أبرز مهام الشيخ، فقد مثّل حامد إخوته أمام البايلك بصفته شيخهم، كما احترم قوانين السلطة وولائه لها، وهي على ما يبدو فترة تماشت فيها مصالح السلطة المركزية مع مصالح أعيان أولاد مساهل، واحترام الطرفين لنوع من "الاتفاق الضمني" الذي يربطهما وينظم العلاقة بينهما (الأزهر الماجري، 2005: 385)، وقد جاء في دفاتر الدوايا (جمع دّية: ذكرت في المصادر الجبائية بمصطلح دوايا) والخطايا الخاصة بتلك الفترة ومنها الدفتر رقم 274 الخاص بفترة (1206-1208هـ/ 1791-1794م) عدة مهام للشيخ حامد تمثلت في إبلاغ السلطة عن عدة حوادث القتل متفرقة وقعت داخل عدة فرق، ونذكر على سبيل المثال:

"دية علي بن الدراجي العمراني قتله نصر بن علي المساهلي ضربه بالرصاص على يد الشيخ القاوي اخبر بذلك الشيخ حامد ابن شريفة ... سنة 1203" (الأرشيف الوطني التونسي، الدفتر274: 95).

"الأربعة دوايا المذكورين ماتوا في معركة بينهم اخبر بذلك الشيخ حامد بن شريفة اوايل رمضان المعظم سنة 1203" (الأرشيف الوطني التونسي، الدفتر274: 95).

وفي بعض الأحيان كان الشيخ حامد يتعامل مع كاهية الكاف (الكاهية: هو قايد يمارس مهام مدنية وعسكرية ويحمل لقب "كاهية") المسؤول عن قبائل ماجر في بعض المجالات كحفظ الأمن وغيرها (الأرشيف الوطني التونسي، الدفتر274: 100)، إذن فمن مهام حامد الإبلاغ عن القتل داخل العرش، غير أنّ جباية الضرائب وجمع أموال الدية كان من مهام القايد.

ولكن في غياب مراسلات إدارية إلى كاهية الكاف تنعدم الرؤية حول مدى أهمية الأشخاص الذين كان يكاتبهم ومتابعة الصلات التي توصل إلى عقدها معهم، كما تغيب مؤشرات تبين خطورة القضايا وأهميتها والتي تم تحويل النظر فيها إلى السلطة، غير أن ذلك لا يعني أن هناك ثقة كبيرة أصبح يتمتع بها حامد لدى عدد كبير من الأعيان ورجال الدولة، وباعتباره ينحدر من عائلة

مرابطية، فحسب ارنست كلنير، أنّ الشيخ أو المرابط يقوم بدور الوسيط أو التحكيم بين الأطراف المتنازعة (ارنست كلنير، 1988: 43- 59).

**3- تزعّمه للغارات ضد قبيلة الهمامة المجاورة.**

لم تكن علاقة قبيلة الهمامة مع قبائل ماجر والفراشيش علاقة ودية بل كانت متوترة في أغلب الأحيان، فالصدامات قد تخفت أحيانا ولكنها لا تنقطع، فمجاورة الفراشيش وماجر لحيز الهمامة من ناحية الشمال الغربي والنزاعات المستمرة على المراعي كانت دوما تغذي هذا الصراع وتزيد في حدته (مصطفى التليلي، 2004: 232- 233).

ومن بين الصراعات معارك "الهيشرية " و"الحنية " و"عين رباو " بقمودة سنة 1206هـ/ 1791-1792م، وقادها أعيان من فريق أولاد مساهل من ماجر وهما: عامر بن شريفة الفرجاني وحامد بن شريفة الفرجاني ، وبلغ عدد القتلى 15 قتيلا في صفوف الهمامة، وانتهت المواجهة بتدخل المحلة العسكرية وتسليط حمودة باشا لخطايا مالية و عينية على أطراف الصراع، وبلغت خطايا ماجر والفراشيش كعقاب لهم على تعديهم على سهل قمودة وعلى فرق الهمامة ب 127 000 ريال إضافة إلى 326 رأس من الخيل والإبل (الأزهر الماجري، 2005: 194).

وتعرف الإغارة بأنها هجوم مسلح على ممتلكات الغير بهدف الاستيلاء عليها باستعمال القوة، مما يجعل الإغارات تخلف في أغلب الأحيان جرحى وقتلى، تتفاوت أهمية الإغارات من حيث عدد المشاركين فيها والمستهدفين لها وحجم الممتلكات المنهوبة (مصطفى التليلي، 2004: 225)، وقد لاحظ الرحالة الفرنسي "بايصونال " أثناء رحلته إلى تونس سنة 1724م أن الحرب في بعض الأحيان تقوم بين قبيلة وأخرى وينتج عنها سرقة الحيوانات لكل طرف، ( Peyssonel et Desfontaines, 1838 : 213)، ويكون السبب الرئيسي للحروب بينهما هو الطمع في الغنيمة المتمثلة في الحيوانات والأثاث.

وتفسر عملية الإغارة قوة التحالف بين أفراد القبيلة وبالتالي فعالية التضامن بين المشايخ وفرقهم، فكلما تورط الفريق في جناية أو في "فساد" تعمد السلطة إلى إلقاء القبض على جملة المتهمين، ولا يجد هؤلاء من مدافع عنهم إلا مشايخهم وكبراء فريقهم (سامية الجندوبي، 1990: 61- 62).

**4- فرض البايلك لغرامات على قبيلة ماجر وفريق أولاد مساهل.**

وقد تعرض فريق أولاد مساهل خلال تسعينيات القرن الثامن عشر إلى خطايا مالية كبيرة سلطها عليهم حمودة باشا بلغت 7000 ريال وخطية عينية تمثلت في 80 فرسا، ويبدو أن هذه الخطية مرتبطة بصراعات ماجر والفراشيش مع الهمامة، وأمام هذه الحالة رفض أولاد مساهل دفع الضرائب والامتناع عن ذلك بالقوة (- الأزهر الماجري، 2005: 384). وبالنظر في أهم دفتر جبائي بالأرشيف التونسي أحصى تلك الخطايا وهو الدفتر رقم 274، تاريخ 1206-1208هـ/ 1791-1794م، وسجّلت فيه خطايا على قبيلة ماجر والفراشيش:

- "40 000 ريالات خطية على كافة عرش الفراشيش ... اواسط جمادى الثاني سنة 1207هـ (1792م)" (الأرشيف الوطني التونسي، الدفتر274: 92).
- "20 000 ريال خطية على كافة عرش شقطمة ... سنة 1207هـ(1792م)".
- " 40 000 ريال خطية على كافة عرش أولاد مهنة ... سنة 1207هـ (1792م)".

- "7000 ريال خطية على كافة أولاد مساهل ...أواخر شعبان 1207(1792م)".

وأحصى الدفتر تقييد لما أخذه أولاد مهنة من ابل الهمامة وفرض البايليك عليهم خطية في أواسط ربيع الثاني سنة 1208هـ (1794م)، وبلغ عدد الإبل كخطية 226 (الأرشيف الوطني التونسي، الدفتر274: 93- 99).

وقد سجل الدفتر الجبائي حوالي 13 خطية خيل على أولاد مساهل من أولاد مهنة، ووصفهم بعبارة "أولاد مهنا الفسايدية " نذكر منها:

"10 خيل نصر بن علي جدير وإخوته"، و"3 أولاد يوسف من أولاد شعيب".

وبلغ المجموع 80 خيلا خطية سنة 1203هـ/ 1788م. وفي خطية أخرى على أولاد مهنا أيضا بلغ عدد الخيول كخطايا 100 خيل من مختلف الفرق منها 8 خيول للمداهمة مشايخ ورعية (الأرشيف الوطني التونسي، الدفتر274: 96- 97)، ونفس الشيء بالنسبة لعرش الفواد حيث سلط البايليك على العرش 100 فرس "على الفسايدية منهم"، وذلك أوائل جمادى الثانية سنة 1208هـ وتعين خلاصها على يد محمد بن حمودي كاهية الكاف، وقبلها في سنة 1207هـ (1792م)، سلط البايليك: "خطية على كافة عرش الفواد عشرين ألف ريال (000 20 ريال) لأجل فسادهم ووقوعهم الهرج في البلاد"، كما فرض عليهم 30 بعير أخذوها من الهمامة (الأرشيف الوطني التونسي، الدفتر274: 101).

وقد فرض البايلك أيضا ضرائب مالية على المشايخ وألحقهم برعيتهم، وهذا من أجل القضاء على نفوذهم المادي من جهة، ومن أجل ردعهم وزجرهم من جهة أخرى، ونفس الشيء بالنسبة في قبيلة ونيفة دفع مشايخها سنة 1795م حوالي 9000 ريال (Charles Monchicourt, 1918 : 298- 299 ). وقد تفوق الخطية الواحدة في منطقة الجريد خلال فترة حمودة باشا (1782-1814م) مجمل الضرائب العادية (أي القارة) الموظفة على كامل منطقة الجريد خلال سنة واحدة، وهو ما حدث لشيخ توزر علي بورقعة في سنة 1814م الذي فرضت عليه خطية واحدة بمقدار 000 130 ريال، وحدد مقدار الخطية لكي تصادر ثروة الشيخ بالكامل دفعة واحدة (عبد الحميد هنية، 2012: 198).

غير أننا نجهل موقف قياد قبيلة ماجر والفراشيش من تلك الخطايا، ومن بين هؤلاء القياد: مراد بن سليمان قايد الفراشيش سنة 1204هـ/ 1790م، وأحمد بن فرحات قايد الفراشيش في نفس السنة، ومحمد بن خير الدين قايد أولاد مهنا سنة 1207هـ/1792م، وقد ذكرتهم هذه الدفاتر الخاصة بالخطايا، كما يغيب موقفهم من ثورة حامد فيما بعد.

في حين سكتت المصادر المحلية عن هذه الضرائب التي أنهكت الرعية في جهة الوسط الغربي كحمودة بن عبد العزيز (حمودة بن محمد بن عبد العزيز، 1970: 364- 366)، وقد طرح الأستاذ "عبد الحميد هنية " مسألة هذه الخطايا التي كثرت في عهد حمودة باشا بصورة تلفت الانتباه إلى حد التساؤل عن الغاية من الخطية أهو الردع أم إثراء خزائن البايلك أولا وقبل كل شيء؟ (عبد الحميد هنية، 2012: 198).

**5- تزعم الشيخ حامد للثورة ضد السلطة المركزية.**

بسبب هذه الخطايا قام الشيخ حامد رفقة عرشه بثورة ضد البايلك، فقد جاء في مؤلف الإتحاف لابن أبي الضياف أنّه: "في سنة 1210 (1795م) عصى رجل من سراة أولاد مساهل من ماجر، اسمه حامد بن شريفة من أولاد الفرجاني، واعصوصب بأولاد مساهل، وكانوا زهاء ألف بيت، ولاذ به من يطلب الرزق بسيفه وسنانه، وأفسد الزرع، وأخذ الماشية

وعطل الطرق، وعاذ به كل من فيه اباءة من ضيم الجباية " (أحمد ابن أبي الضياف، 1999: 31- 32)، وبالتالي فقد ساءت العلاقة بين قبائل ماجر والفراشيش بالسلطة المركزية في تسعينيات القرن الثامن عشر بسبب سياسة الجباية والمغرم.

ولا شك أن تسليط حمودة باشا على أولاد مهنى وبالخصوص على فريق أولاد مساهل خطايا ثقيلة بالمقارنة مع بقية عروش ماجر والفراشيش مرتبط بدور هذه المجموعات في الصراع مع الهمامة وقيادها، ولقد كان لأعيان أولاد مساهل الدور الأساسي في قيادة هذه الصراعات لاسيما الشيخان حامد بن شريفة وعامر بن شريفة وذلك منذ أواسط القرن الثامن عشر.

كما أنّ تنامي قوة عرش أولاد مهنى و فريقه أولاد مساهل من الأسباب الأساسية لتسليط حمودة باشا لهذه الخطايا المالية والعينية عليهم، على أنّ اختلاف حجم هذه الخطايا بين ماجر والفراشيش من جهة، وداخل عروش ماجر من جهة ثانية، يعكس إستراتيجية السلطة وتكريسها لنوع من ازدواجية المكاييل والموازين بهدف إشعال الصراع بينها وفق سياسة فرق تسد، وهذه الخطايا تبدو السبب الأساسي وراء التوتر بين السلطة واعيان أولاد مساهل (الأزهر الماجري، 2005: 393).

وكانت الفرق والأعراش تقوم بعمليات دفاعية مشتركة ضد الأخطار الخارجية، وتعطي بذلك للأفراد فرصة لتثبيت انتمائها الجماعوي، وهي في ذات الوقت تؤسس للنفوذ المحلي وتكسبه الشرعية، ويحتل هذا النفوذ مكانة مرموقة لدى الفاعلين داخل المجموعات المحلية لأنه يمثل عندهم رمز مجموعتهم والمتكلم باسمهم والحامي لاستقلالية جماعتهم عن بقية القوى السياسية والعسكرية الخارجية (Abdelhamid Hénia, 2006 : 146)، فقبيلة الفراشيش خلال القرن الثامن عشر مثلا كانت تتميز بقوة كبيرة الأمر الذي جعلها تدفع ضرائب محدودة، وتمد النظام بأفضل فرسان المخزن (علي الزيدي، 1988: 139).

غير أنّ مسألة الولاء بين الباي والمشايخ في البلاد التونسية خلال العهد الحديث لم تصل إلى مرحلة التهديد الفعلي لسلطة البايات ولم تكن موجهة ضد شرعيتهم كما أنّها لم تكن حاملة لمشاريع بديلة ( Chérif M.-H, 1980 : 21- 55)، في حين لم تحظى انتفاضة الشيخ حامد بصدى واسع لدى الإخباريين المعاصرين لتلك الفترة باستثناء شارل مونشيكور الذي قدّم معلومة عابرة عن ثورات الإيالة التي شهدتها البلاد التونسية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر (Charles Monchicourt, 1918 : 112)، أو ما أورده صاحب الإتحاف في أقل من صفحة (18 سطرا).

حاول حمودة باشا محاصرة انتفاضة أولاد مساهل وشدد الرقابة على الحدود مع الإيالة الجزائرية، ويقول صاحب الإتحاف:" فتغافل عنه الباي (حمودة باشا) واعمل الحيلة في القبض عليه بغير حرب خشية هروبه كما هو الشأن في أمثاله" (أحمد ابن أبي الضياف، 1999: 31- 32)، وكانت هناك العديد من حالات الفرار، وفي هذا السياق وجدت بعض الوثائق بالأرشيف الوطني الجزائري حول فرار أعيان ومشايخ قبائل ماجر والفراشيش إلى الإيالة الجزائرية سنة 1817م، وهو ما يدل عل استمرارية فرار الأعيان إلى الإيالة المجاورة في حالة التمرد على السلطة (الأرشيف الوطني الجزائري. علبة رقم 5، سجل رقم 30، وثائق رقم 3-4).

## 6- القبض على الشيخ وهجوم المحلة على عرشه.

قبضت السلطات البايلكية على الشيخ المنتفض عن طريق الحيلة، فقد أمر الباي حمودة باشا كاهية الكاف رجب بونمرة بالقبض على الشيخ حامد، فقبض عليه وأرسله إلى الباي الذي أراد قتله، غير أن أحد القياد طلب من الباي عدم قتله بسبب نسبه

الشريف، وسجنه الباي عوضا عن قتله، كما تعرض فريق أولاد مساهل للغزو والتشريد في بعض مناطق الإيالة (أحمد ابن أبي الضياف، 1999: 31- 32).

وتتشابه هذه الحالة مع حالة جبل وسلات الذي هُجِّرَ أهله وتحولوا إلى شتات أو "طياش"، وقد أعطت هذه السياسة ثمارها كممارسة ناجعة في حكم المجموعات القبلية وتحطيم أبنيتها العسكرية، وأعاد حمودة باشا استخدام تجربة ماضية في إخماد الانتفاضات الريفية ووظفها وفق ظرفية أواخر القرن 18 مع عروش أولاد مساهل، فلقد رحّل حمودة باشا فريق أولاد مساهل من مجالهم القبلي واقرهم بعدة جهات أخرى مثل جهات القيروان والكاف (الأزهر الماجري، 2005: 405- 406).

**7- النتائج ومناقشتها :**

يمكن القول أن الشيخ حامد لعب دورا كبيرا داخل عرش أولاد مساهل من قبيلة ماجر أواخر القرن الثامن عشر ميلادي، كما قدم العديد من الخدمات المخزنية لصالح البايليك، غير أن عصيانه لأوامر البايلك وارتكابه للعديد من التجاوزات المتمثلة في الإغارة على القبائل المجاورة كقبيلة الهمامة قد أدى إلى فرض البايلك لخطايا كبيرة وباهضة على مشايخ وأفراد قبائل ماجر والفراشيش، وهو ما أدى إلى الانتفاضة في وجه البايلك وممثليه، غير أن نفوذ السلطة وقوتها الكبيرة قد أدى إلى وضع حدّ للشيخ وعرشه أولاد مساهل من قبيلة ماجر.

لقد كان المشايخ والأعيان قبل نهاية القرن الثامن عشر، مازالوا يحسّون بانتمائهم لمنتخبيهم المتمثلين في أفراد الفرقة أو العرش، وهو ما يتطلب الدفاع عن مصالح مجموعاتهم أمام البايليك، وأنّ أي تخاذل أو تقصير يضعف اللحمة أو العصبة القبلية، لمواجهة المدّ المخزني المتزايد النفوذ، والرامي إلى مخزنة المؤسسات المحلية داخل العرش، ومنها مؤسسة الشيخ التي تعتبر أهمّ مؤسسة محلية في دواخل البلاد، ويظهر أيضا أن السلطة المركزية كانت قوية جدا أمام أي تهديد داخلي يهدد أمن الإيالة.

لقد بيّن الشيخ حامد بن شريفة أن نظرية ابن خلدون في القرن الرابع عشر ميلادي حول "العصبية القبلية "، مازالت سمة مستمرة نسبيا بين الفرد وشيخ الفرقة أو العرش، في الوسط الغربي التونسي نهاية القرن الثامن عشر ميلادي، وإن كانت بصفة أقل داخل بعض المجموعات القبلية، نظرا للتحولات العديدة التي عرفها منصب الشيخ، وتمكن المخزن من احتواء مؤسسة المشيخة بنسبة كبيرة في تلك الفترة، وسكوت مشايخ الأعراش الأخرى وعدم اتخاذهم أي موقف مساند لثورة الشيخ حامد، وهو ما أثّر على مسار الثورة وسرعة إخمادها.

كما يمكن القول أنّ هذه الترجمة قد مكنتنا من محاولة تجاوز الصورة النموذجية للشيخ، وتجاوز صورة الزعيم المنتفض والمتمرد، ورصد ممارسات أحد شيوخ القبائل في الوسط الغربي التونسي خصوصا والإيالة التونسية عموما، كعنصر فعل اجتماعي تحركه المصالح الشخصية والقبلية من التعرض للاستراتيجيات الضريبية والمعاملاتية والمصاهراتية التي اتبعوها، ومحاولة فهم خلفياتهم وأسباب تحالفهم أو تمردهم على سلطة الباي.

**8. خاتمة :**

إن الشيخ حامد قد مثل أحد أبرز الأعيان المحليين في البلاد التونسية خلال القرن الثامن عشر، غير أن نهايته كانت مؤلمة بالنسبة له ولأفراد عرشه، وهو ما يبين أن السلطة كانت تقضي على أي عون محلي قد يساهم في تهديد نفوذها ويقضي على

مصالحها بالجهة، كما أن نهايته تشبه نهاية العديد من مشايخ الفرق والأعراش بعد ثورة ابن غذاهم في القرن الموالي وتحديدا سنة 1864م.

**قائمة المراجع:**


1. الأرشيف الوطني التونسي. الدفتر الجبائي 3، التاريخ 1123هـ/ 1711-1712م.
2. الأرشيف الوطني التونسي.الدفتر الجبائي 2145، تاريخ 1191- 1197هـ/ 1777- 1783م.
3. الأرشيف الوطني التونسي. الدفتر الجبائي 274، تاريخ 1206-1208هـ/ 1791-1794م.
4. الأرشيف الوطني الجزائري. علبة رقم 5، سجل رقم 30، وثائق رقم 3-4.
5. الباهي مبروك، (2005). القبيلة في تونس في العهد الحديث (ق16-19م): من بداوة الجمل إلى بداوة الخروف والحوز، السباسب الوسطى مثالا، صفاقس، تونس: مطبوعات كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
6. ابن أبي الضياف أحمد، (1999). إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تحقيق لجنة وزارة الشؤون الثقافية، ج3، تونس: الدار العربية للكتاب.
7. بن يوسف محمد الصغير، (1998). المشرع الملكي في سلطنة أولاد علي تركي، تقديم وتحقيق أحمد الطويلي، ج1، ط1، تونس: المطبعة العصرية.
8. حمودة بن محمد بن عبد العزيز، (1970). الكتاب الباشي، قسم السيرة، تحقيق محمد ماضور، ج1، تونس: الدار التونسية للنشر.
9. التليلي مصطفى، (2004). منطقة قفصة والهمامة في عهد محمد الصاد باي 1859-1882م، ط1، تونس: دار صامد للنشر والتوزيع.
10. الجندوبي سامية، (سبتمبر 1990). مشايخ العروش في المناطق الريفية الريفية الممتدة شمالي وادي مجردة من 1850 إلى 1914م، شهادة الكفاءة في البحث، قسم التاريخ، جامعة تونس الأولى، تونس.
11. الزيدي علي، (جوان 1988). انتفاضة الفراشيش سنة 1906، المجلة التاريخية المغربية، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، مجلد 15 (ع 49-50)، ص. ص 137. 157.
12. الماجري الأزهر،(2005). قبائل ماجر والفراشيش خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر (في جدلية العلاقة بين المحلي والمركزي)، منوبة، تونس: منشورات كلية الآداب والفنون والإنسانيات.
13. بن محمد الساسي العوامر إبراهيم، (2007). الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، تعليق الجيلاني بن إبراهيم العوامر، الأبيار الجزائر: منشورات ثالة.
14. هنية عبد الحميد، (2012). تونس العثمانية: بناء الدولة والمجال (ق 16-19م)، تونس: منشورات تبر الزمان.
15. كلنير ارنست، (1988). السلطة السياسية والوظيفة الدينية في البوادي المغربية، مقال ضمن كتاب الأنتروبولوجيا والتاريخ، حالة المغرب العربي، ترجمة عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق، ط1. الدار البيضاء، المغرب: دار توبقال للنشر، ص. ص 43. 59.

16. Attia Habib, (1977). Les Hautes steppes Tunisiennes de la société pastorale à la société paysanne, Thèse de Doctorat d' Etat, Paris 7, Tunis: Université de Tunis, C. N. R. S.
17. Chérif M.H, (1980). Les mouvements paysans dans la Tunisie du XIXe siècle. In: Revue de l'Occident musulman de la Méditerranée, n°30, pp. 21-55.
18. Hénia Abdelhamid, (2006). Etre notable au Maghreb, Dynamique des configurations notabilitaires, Institut de recherche sur le Maghreb contemporaine, sous la direction de Hénia Abdelhamid, Tunis : Maisonneuve et la rose.
19. Monchicourt Charles, (1918). La région du Haut Tell en Tunisie (Le Kef, Téboursouk, Mactar, Thala), Essai de Monographie Géographique, Paris: Librairie Armand Colin.
20. Peyssonel et Desfontaines, (1838). voyages dans les régences de Tunis et Alger, Paris: Imprimeur de la cour de cassation.